

# بعد موت العلاقة الزوجية الصدائقة وحفظ الاعتبار أم الوشاية وتسريب الأسرار؟

المغرب - كتبت: سعاد درير

تنطفئ شمعة الزواج، تذبذب وردة الحياة، وتظلم الدنيا في عيون زوج وزوجة يفصل بينهما أبغض الحلال عند الله. تختلف أسباب الطلاق، والنتيجة واحدة دائماً وهي أن كلا من الزوج والزوجة المنفصلين يبحثان عن علة تُذكر عند الآخر ومبرر يخفف من وطأة الطلاق، وإن كانت الراحة النفسية لأحد الزوجين المنفصلين تتحقق على حساب فضح الشريك القديم في الحياة الزوجية وتعريته أمام الملاء عن طريق كشف أسرار العلاقة الزوجية المنطفئة. فلماذا يعمد الزوجان المنفصلان إلى النبش في دفتر

حياتهما القديمة وكشف أسرارهما؟ وهل تسريب هذه الأسرار يقوي موقف أحدهما على الآخر؟ وكيف نرتقي بالزوجين سابقا من نهر العدوان والكراهية إلى جسر الصداقة والمودة بشكل يسمح لكل منهما باحترام الآخر بعيداً عن أي نية مبيتة في الوشاية والتجريح ونشر أدق خصوصياتهما الحميمة على حبال السنة المجتمع؟ لنتابع عن قرب هذا وذاك في شريط ذكريات زوجات جمعت بينهن صلة الرحم المقطوعة مع أزواجهن.

## من أسباب الطلاق: تصابي الزوج وعدم تقدير النعمة التفاوت في المستوى العلمي والفكري

### زوج غير سوي

أم سميرة تعترف بنبرة أسى بفشل زواج ابنتها (مطلقة عشرينية)، إذ لم تدم حياتها الزوجية أكثر من شهر واحد. ولأن هذه المساحة الزمنية تفتح أفواه الفضوليين على اتساعها لتجاذب القيل والقال والترميز بالسؤال، فإن سميرة لم تجد بداً من الاعتراف على لسان أمها: «ابنتي هي من سارعت إلى طلب الطلاق والتعجيل بإجراءاته طالما أن الزوج امتنع عن معاشرتها بما يرضي الله وخالف المنهج السوي لمعاشرة النساء». ومن خلال اعترافات أم سميرة وحرصها على تبرير موقف ابنتها انضح أن الزوج السابق قد أساء الفهم وفسر على هواه قوله تعالى في كتابه العزيز: «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين». سورة البقرة - الآية: 223.

### زوج مراهق

زواج آخر لم يدم أكثر من شهر بطلته شابة في عمر الزهور وجمال الورد. الشابة التي فشل الكثير من الذكور في طلب وصالها نظراً لأخلاقها العالية والقدر الكبير من الجمال الذي تتمتع به أصيبت بإحباط بعد أن لم تُعمر في بيت زوجها أكثر من شهر. ونظراً لاختلافاتها عن أنظار المحيطين بها، شرعت أمها في تعليل سبب الطلاق بتصابي زوجها الذي لم يُقدّر النعمة التي كانت بين يديه وصال وجمال مع هذه وتلك وأطلق العنان للألسنة لتجريح سمعة الزوجة الشابة بعد أن عادت إلى بيت أهلها قبل نهاية الشهر. ولم يقطع دابر هذه الألسنة الثرثارة سوى إقدام المطلقة الشابة على الزواج مرة أخرى - بعد أشهر تُعدّ على رؤوس أصابع اليد الواحدة - بـ «سيد سيدو». تقول أم الشابة المطلقة: كلّفني الزواج الأول لابنتي الكثير مادياً ونفسياً،

وجاء الزواج الثاني في وقته رحمة من الله ليعيد الاعتبار لابنتي». الشابة المطلقة هي الآن أم لطفلين، وهي سعيدة جدا لأنها ارتبطت بشخص ابتعد بها بعيدا عن مضايقات الفضوليين، ولا يتمنى أكثر من رضاها.

## التفاوت في مستوى التفكير كارثة

نجمة سيدة مطلقة منذ سنوات. تقول قريبة نجمة: «سبب فشل زواج قريبتي راجع إلى التفاوت في المستوى العلمي وفي طريقة التفكير». فنجمة لم تكمل دراستها الابتدائية. أما زوجها سابقا، فهو مدرس تعليم ثانوي يواصل حاليا دراساته العليا. تقول قريبة نجمة: «مؤكد أن زواجا كهذا محكوم عليه بالفشل. فنجمة لا طموح عندها ولا هدف أكثر من إرضاء زوجها. وزوج نجمة منذ شرع في دراساته العليا وهو يتضايق من تفكير زوجته ونظرتها السطحية إلى الحياة، ولذلك كان طبيعيا أن يمكّن زوجته من حرّيتها لأنه اكتشف أنها لن تفهمه يوما».

وما يزيد الطين بلّة في حالة نجمة هو أن أمّ زوجها هي من اختارتها لابنها. ولذلك ما برح الزوج يلقي باللائمة على أمه التي اختارت له العروس غير المناسبة في نظره. لا تخفي قريبة نجمة سخطها حين تمقت ما أقدم عليه زوج نجمة من حوض علاقات مراهقة متأخرة مع فتيات دون وفوق سن بنات لم ينجبهن. على أن قريبة نجمة ما فتئت تبرر موقف الزوج بالبداية الخاطئة لزوجها كونه رضي باختيار أمه ونسي أنه هو من سيعاشر هذه الزوجة طيلة حياته وليس أمه.

لذلك لا تستغرب قريبة نجمة من المبررات التي تشفع لنجمة كلما سئلت عن أسباب طلاقها: «من حق زوج نجمة أن يتضايق من الهوة الفكرية بينه وبين نجمة واختلافهما في الرأي وفي أبسط الأشياء الحميمة بين الزوجين». وتضيف قريبة نجمة: «ومن حق نجمة كزوجة أن تفشي علاقات زوجها كونها السبب الرئيسي في فشل علاقتها الزوجية»، وكأن الزوج يعوض بمراهقاته وبطلاتها الجامعيات ما كان ينقصه في زوجته. على أن الغريب في الأمر هو أن العلاقة الإنسانية بين نجمة وزوجها بعد انفصالهما تكاد تقترب من أجواء القرابة العائلية أو الصداقة علما بأنهما لم يرزقا ولو بابن واحد كان يفترض فيه أن يدعم جسر التواصل الإنساني بينهما. والغريب مرة أخرى أن يكتشف الزوجان أن علاقتهما وهما منفصلان ناجحة جدا خلافا لحال علاقتهما كزوج وزوجة تحت سقف واحد.

## زواج ليلة لا أكثر

تعالوا لنأمل مشهدا قاسيا آخر وضع زوجة مظلومة موضع الإدانة. إنها الزوجة الشابة التي لم يدم زواجها أكثر من ليلة قبل

انتهائها كانت الزوجة قد عادت إلى بيت أهلها لا لشيء سوى لأن الزوج اتهم زوجته في شرفها مع أن العيب فيه هو وحده على حد اعتراف زوجته كونه عاجزا جنسيا. معقول أن يغطي زوج حديث هذا العيب الكبير ويقدم زوجته كبش فداء؟

## المسألة تحصيل حاصل

نسيمة شابة جامعية حينها بسؤالنا: هل من الطبيعي أن تكشف الزوجة أو الزوج أوراق حياتهما الزوجية بعد انطوائها؟ ومن منهما الجاني ومن الضحية؟ تردّ نسيمة: «الظاهرة حاضرة بقوة. ومردّد هذا إلى أن كلا من الزوج والزوجة يحاول أن يداري أسباب خيبته الثقيلة وفشله في الحفاظ على استقرار العلاقة الزوجية». تلهفنا على مواصلة الحديث فجاء رد نسيمة منطوقا: «المشكلة في بنية المجتمع العربي ذاته الذي لا يتسامح بالمرّة مع المرأة المطلقة».

## في ميزان التساؤل والمكانتفة

تساءلنا من جهتنا: فهل يعقل أن يجني الزوج والمجتمع كلاهما على المطلقة؟!

الحق أن لجوء المرأة المطلقة إلى تسريب خصوصيات حياتها الزوجية السابقة راجع أساسا إلى القسوة التي تكتوي بها المرأة المطلقة في المجتمع العربي، إذ المتعارف عليه أن المرأة المطلقة تتحمل وزر الطلاق حتى وإن لم تسع إليه. ولذلك يردّ المجتمع - بمن فيه الأزواج المطلقون - كل واقعة طلاق إلى فشل المرأة وتقصيرها في واجباتها ومسؤولياتها في حياتها الزوجية السابقة، علما بأن الرجل هو صاحب القرار في موقف الطلاق. ولذلك لا تجد النساء بدا في الغالب من اللعب بالورقة الأخيرة ألا وهي عيوب الزوج وأخطاؤه. صحيح أن هذه الورقة هي نفسها تشجع على اللعب على أعصاب الزوج سابقا، غير أنها تخفف مسؤولية الطلاق على الزوجة التي تمثل الضحية في المعادلة الصعبة.

إلا أن الواقع يقول إن الزوج نفسه يعتمد في كثير من الأحيان إلى التلاعب بالورقة الرابعة نفسها، ألا وهي اللعب على أعصاب الزوجة سابقا من خلال كشف تفاصيل شخصية في حياتها الزوجية السابقة بحيث تسمح هذه التفاصيل بإلصاق أسباب الطلاق بعيوب في الزوجة، الشيء الذي يضاعف إدانة الزوجة لأن طلاقها أصلا في نظر المجتمع يعني أن الخطأ فيها هي في حد ذاتها.

فلماذا يُلحق المجتمع والزوج الضرر بالزوجة الفاشلة في نظرهما بالحجة والبرهان؟ ولماذا تداوي الزوجة خسارتها بالتنقيب في حياتها الزوجية السابقة عن دافع قوي يدين الزوج الجبار؟

## «د. ملهم»: الشخصية وراء تسريب الأسرار التثقيف الزوجي والتربوي ضرورة



(في كثير من المواقف) يتم تعلّمها من سنوات الطفولة من الأبوين بشكل أساسي. مثال: أنت تراقب الأم وهي تطهو، فجأة اتصلت بها الجارة وتكلمت معها ونسيت الطبخ على النار فاحترق، فيكون ردة فعل الأم بألية الشخصية: «أنا الفاشلة أنا الغبية»، بدلاً من أن تعزو الأمر للظروف والنسيان وتقول: «لقد نسيت الطبخة وجل من لا يسهو»، فيتعلم منها الطفل أن يعزو الفشل لذاته وينسى المحيط. وأعود: هي آلية خاطئة في كثير من الأحيان وليس كلها. وهكذا الأمر بالنسبة للزوج لما يفشل يتم عزو الفشل للذات، فيتبادل الطرفان التهم لذواتهم، بدلاً من أن يتم النظر إلى الظروف التي أدت إلى فشل العلاقة. إذن إفشاء الأسرار هو عدوان وهو آلية دفاع في نفس الوقت ضد التهديد وإسقاط الفشل على ذات أحد الزوجين. من هنا فإن فشلنا كأزواج ليس معناه أننا فشلنا كأشخاص أو كشركاء فيما بعد في تربيّات ما بعد الطلاق، وخاصة كتربية الأبناء.

### والحل على عدة أبعاد:

التثقيف الزوجي: دورات تأهيل المقبلين على الزواج. وقد أعجبتني رأي البروفيسور طارق الحبيب أن نجعل للزواج رخصة يتحتم الحصول عليها قبل الزواج للتقدم إلى الزواج، وتجديدها كل سنتين.  
التثقيف التربوي: وأضيف رخصة تربوية بإلزام الآباء الجدد بحضور دورات تأهيل لمرحلة الأبوة.  
التبصير النفسي بوسائل الإعلام المتعددة: للوصول لدرجة التحضر النفسي والرقعي الخلفي.

سؤال حملناه على أمواج البحث عن الحقيقة إلى الأخصائي النفسي الدكتور ملهم زهير الحراكي، فوجدنا منه رحابة صدر وحسن استقبال لسؤالنا

ليضع النقط على الحروف ويردّ على الحلقة المفقودة والمستعصية: ما الحل وما العمل؟

### رأي الاخصائي النفسي الدكتور ملهم زهير الحراكي

مركز مطمئنة الطبي - الرياض - المملكة العربية السعودية  
دكتور، لماذا تلجأ بعض الزوجات (والأزواج لِمَ لا؟) إلى تسريب أسرار بيت الزوجية بمجرد فشل الزواج؟ وهل تسريب هذه الأسرار يمثل بالنسبة للزوجة وسيلة دفاع وتبرير لطلاقها؟ وما العمل حتى نرقى بحياة ما بعد الطلاق إلى مستوى الصداقة التي تحفظ الاعتبار للزوجين؟

– أن نفشل كأزواج ليس معناه أننا فشلنا كأشخاص. من هذه العبارة أنطلق في ردي على ما طرحته في تساؤلك. أظن أن عملية الشخصية Personalization هي السبب وراء هذا العدوان بإفشاء سر الحياة الزوجية بعد فشلها.

وما الشخصية؟!

– الشخصية هي أن تعزو الأمر إلى شخصك وليس للظروف المحيطة، وترتبط السبب بذاتك لا بالمسبب. وهي آلية فكرية ومعرفية خاطئة

